

فصول ملحقة في الفلسفة اليونانية

١٤ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

فريدريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوي

على أن الروح « الديونيزوس » يكاد يكون قاشياً في كل أسواق العالم القديم . وهو عند البرابرة كان يرحبهم إلى الانهماك في المنكرات ، وإشباع الشهوة الانسانية بالذائد . واليونان رغم حضارتهم وبمدهم عن البربرية سرت إليهم المدوى ، ومشى فيهم هذا الروح . ولكن انهماكهم لم يكن انهماكاً بهيمياً . أقاموا الأعياد والأندية حيث تنطلق الطبيعة ويذهل الانسان متحداً بماطفته مع الوجود . ومن هذا الانهماك تولدت المأساة اليونانية . والمأساة اليونانية يرجع أصل نشأتها إلى فريق « الساتير » وهؤلاء عند اليونان هم أرواح من الطبيعة نجياً ، ولا ينسرب إليها الفناء ؛ تمشى بعيدة عن الحضارة ، وظهورها في شعب متحضر يقضى على حضارته ويقف بالحواجز التي تفصل الانسان عن الطبيعة . وهم يظهرون أن الطبيعة ثابتة قوية خضبة رغم تقلب الأمم وتبدل الشعوب . واليونان اعتقدوا أن هذا الفريق مخلوق طبيعي مجرد من كل براعة ، ولكنه ليس بهيمي . يتجلى فيه شيء من سمو الآلهى ، وهو رمز الفرزة الأكثر قوة وسيطرة على الانسان . هو سريع الهيام يذهله تقرب الآله منه . كثير الاشفاق والمطف لأنه يقاسم « ديونيزوس » آلامه . وهو يسالم حكمة الطبيعة . وهو رمز خصب الحياة التي يعيدها اليونان عبادة دينية . كان هذا الفريق يبدو في بدء نشأته وهو نشوان « بالسكر الآلهى » ويرقصه ، وموسيقاه تنادى روح الناظر في شبه ذهول عميق ، يحمو من نفسه ذكر الحضارة ، ويجرده عن ذاته حتى يرقه إلى مرتبته ، ويشركه في ذهوله وسكرته . حتى إذا وجبت القلوب واستسلمت النفوس بلوح وراء هذا الفريق خيال الآله

« ديونيزوس » وهذا السكر الآلهى قد ولد خيالاً شعرياً لم يكن في حقيقته إلا تمبيراً خاصاً عن حالة نفسية وانحمة ولدها هذا السكر الصوفى . فالمأساة اليونانية هي بحقيقتها موسيقية شعرية . وهي هتاف ظفر الارادة التي تشعر بخلودها ازاء تقلب الكائنات وتحولها . بطل كل مأساة هو الآله « ديونيزوس » ، وهي عاطفية لأنها نشأت لتكون أنشودة في مدح الآله . ثم تطورت المأساة لتكون أشد تأثيراً في الخيلة ، فأصبحت صورة رمزية لسحابات بلوح بينها الخيال الآلهى الذى يظهر على السكارى الهامعين في الودى ، السكارى بالآله . ولكن « ديونيزوس » لم يعد يظهر بشكله الآلهى . وإنما يظهر بهيئات الأبطال الذين يتمثل فيهم تحت قناع البطل « كيروموني » أو « أوديب » . و « ديونيزوس » هو البطل الحقيقى في كل مأساة ، يبدو بأشكال مختلفة . وهو في ظهوره هذا يشبه الانسان في حياته ، يتيه ويضل ، يناضل ويتألم . « ديونيزوس » هو هذا الآله المتألم الذى تكلمت عنه الأساطير . هذا الآله الذى يحس في نفسه بالآلام الفردية . هذا الآله الذى قالوا عنه إنهم جزأوه وهو صغير وعبدوه باسم الآله . « زاكروس » ومن ابتسامته تولدت الآلهة ، ومن دمعه نشأ الرجال

إن روح هذا الآله قد فتحت للعلم مجالاً عند اليونان . فهم بعد أن أطلقوا الأرواح من التشاؤم بتأملهم للجهال أو بشعورهم بخلود الارادة ، ذهبوا إلى طريقة ثالثة ، هي المعرفة العقلية للوجود وأجزائه . فجاء العلم حليفاً ثالثاً معهم يناضل التشاؤم . فبيما يقول الفنان للحياة « يليق بنا أن نحياك ، أيها الحياة ! لأن صورتك جميلة » يقول العالم لها « أنا أريدك أيها الحياة ! لأنك جديرة بأن تمرق . . . » وهكذا وجد العالم في اكتشافاته العلمية من اللذة والبهجة ما يجده الفنان في أوهامه وأخياته . وتآزرت هذه الأوهام كلها لتجمل وجه الحياة المشوه جيلاً . ويجب ألا نتجحد أن فضيلة العلم إنما هي تتمثل في البحث الدائم والتنقيب التواصل . لافى الحقائق التي يكتشفها . أو النتائج التي ييلنها . وخطبة العلم القطعى هي أنه لا يقف عند معرفته للوجود واقتناعه بما أدرك وتفهم من أحاجيه وإنما يشب إلى إصلاحه وإتمامه ، فتستمد حالته

فهدم الحضارة الأولى ولم يبق على شيء منها ، فعل ذلك وهو لا يشعر بأن السلام الذى هدمه هو أسخى من العالم الذى راح يبنيه بمقله

هذا ملخص مارآه نيتشه فى « المأساة اليونانية » وهو جد أسف على ذهاب ذلك الماضى النبيل . وقد لا يبتينا أن ننظر إلى مذهب « نيتشه » من حيث تعلقه بالتاريخ . فهو ليس فى الحقيقة إلا مذهباً يستخلصه من بعض نظراته المختلفة إلى أدب اليونان . وللعلم الحق وحده أن يتقبل هذه النظرات أو ياباها

يقول نيتشه عن شوبنهاور : « أنا بعيد جداً عن الاعتقاد بأننى فهمت شوبنهاور ، ولكنى مؤمن جد الإيمان بأن شوبنهاور قد أعاننى على تفهم نفسى » وحال نيتشه فى درسه المبقرية اليونانية قد تشا كل هذه الحال ، فهذه الدراسة قد كشفت عن تفكيره وأبانت عن منعاه فى الحياة . وهذه الإرادة التى يذرع بها (ديونيزوس) مجابهة أخطار الموت والشقاء والألم تنبر عن عاطفة عميقة من أسخى عواطف « نيتشه » ؛ وهما كانت قيمة كتابه هذا فهو بعد هذا كله كتاب خالد يتلو علينا كيف شعر نيتشه بذاته حين درس براعة اليونان

فيل هندرى

(يتبع)

الايضاح للخطيب القزوينى

فى علوم البلاغة

وشرحه لهؤستاذ عبد المتعال الصعبرى

المدرس بكلية اللغة العربية

طبعته المطبعة المحمودية بالأزهر

وهو يعنى الطالب عن الرجوع إلى الحواشى والتقارير التى وضعت على الايضاح . وقد طبع منه الجزء الأول وثمته عشرة قروش ساغ على ورق جيد عال - وقريباً يصدر الجزء الثانى

ويطلب من المكتبة المحمودية التجارية

بميدان الأزهر صندوق البريد رقم (٥٠٥) مصر

تليفون عمرة ٥٣٠٦٧

الأولى مادام يبحث وينقب ، ويشق فى الحالة الثانية مادام يطمع ويطمع إلى ما لا قبل له به . يمتد بساطة نفسه أن الوجود سهل فهمه بجملته وبأجزائه ، وأن رأس كل فضيلة هى المعرفة ، وأن الجهل هو مصدر كل بلاء ، وبالعلم وحده يستطيع أن يبلغ الانسان ما يشاء من أمهات الفضائل

جاء سقراط وهو أعظم مفكر يونانى جاحد للوحى ، يؤمن بأن العقل وحده يقوم مقام الغريزة والفطرة فى الحياة . والرجل العاقل له من عقله سلاح يدرأ عنه أخطاء الغريزة وضلال الفطرة . سلك سقراط طريقاً خالف به قومه واستطاع فى النهاية أن يقهر معاصريه بسمو منطقته ، وباختياره لمصرعه الذى لقيه . ترك الحياة هادئ النفس ، لا يعضه أسى ولا يقرعه ندم ، كأنما كان يثبت بهذا المصرع إيمانه فى الحياة إيماناً متفائلاً لا يتضعض ولا يترزعزع . هذا هو عقل سقراط الذى هزم « المأساة عند اليونان »

وحق لهذه المأساة أن تتلاشى أمام مجلس العقل ، لما يطفى عليها من تعاليم لا يجمع بينها قياس ولا منطق . يستند كل ما فيها من تأثير على الموسيقى . المأساة لا توحى شيئاً ولا توضح عن أية حقيقة نافمة ؛ وقد نجى قاحشة النزى ، أو ليس يبدو بعد هذا أنها تعمل على تحطيم أجمل النماذج التى تخلفها الانسانية . فإذا كان هنالك أواصر متينة بين العلم والفضيلة والسعادة الحقيقية - كما يريد العلم المتفائل - فإن النزى الفاجع يبدو بدعة خطيرة

ان سقراط لم يهدم فن المأساة وحده ، بل هدم كل البراعة اليونانية . كانت المثال الذى تجسد فيه العقل يوم كان اليونان يتبعون بأهوائهم شريعة الفطرة والغريزة . كانوا يريدون الحياة قوية جميلة ، وهو يريدونها منطقية ، تفقه نفسها بنفسها ؛ كان مظهر سقراط مظهر المزدرى لروح عصره ، وهو وحده أعلن بين معاصريه أنه لا يدري شيئاً ، وأنه على حق فى خصامه معهم . يمرج على نوادى الشعراء والمفكرين والخطباء والمعلمين ، فيقول : إن هؤلاء الراقين بأنفسهم يفكرون ويجادلون بدافع الفطرة وحدها ، وهم لا يفقهون ما يصنعون . تراه خيماً توجه وأبنا انطلق لا يصبر إلا وهماً باطلاً ، وخطأ فاشلاً ، مما اضطره أن يعلن أنه مقدم على انشاء حضارة جديدة يديرها العقل وحده .